Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المجال لمن يستوفى مطالب العصر لا شرائط الفن. ويكفى أن نعرف أن الاتجاه الذى ساد الحركة النقدية حتى عصر عبد القاهر كان يعتمد - لدى علمائه ونقاده غالبا - على عامل الزمن فى الحكم على الشعراء. وبلغ من حدة هذا المعيار أنهم حكموا على مسيرة الشعر بالتوقف عند زمن محدد، وشاعر معين، فكان أبو عبيدة يقول :

«افتتح الشعر بامرىء القيس، وختم بابن هَرْمة»(١).

فالحكم على افتتاح الشعر قد يكون مقبولا، وإن كان مثيرا للجدل، ولكن الحكم علىٰ نهايته بهذا الشكل القاطع أمر غير معقول، حتى بمعيار الاحتجاج والاستشهاد اللغوى. فابن هرمة من الشعراء المقلين، ولم يكن من الفحول المعروفين إذا قورن برواد عصره.

وسواء - عندنا - أن يكون الهدف من هذا الاتجاه هو استصفاء مواطن الاحتجاج اللغوى، أو التعويل على الجانب الأدبى، فإن الاعتماد على هذا المنهج فى الحكم على الشعر والشاعر أمر غير مقبول. وربما ترتبت عليه أحكام تعسفية، لا تستند لدى أصحابها إلى أصول الفن الشعرى، بقدر ما يشايعها تقليد عرفى، أو اهتمام معجمى، يعنى فيه بالشوارد، فقد كان حرصهم على سلامة اللغة من المولد والمحدث أكثر من حرصهم على معطيات النص، فكانوا يضيقون ذرعا بمسألة التزامن اللغوى (المعاصرة)، ويعدونها خروجا على ضوابط الاستعمالات العربية فى عهد الفحولة؛ حتى ليقول أبو عمرو بن العلاء : «لقد كثر هذا المولد حتى هممت أن آمر صبياننا بروايته»(٢).

فلو أن الحركة النقدية استجابت لحكومة هؤلاء النقاد لطويت صفحات عامرة بالبيان الآسر والفن الأخاذ عند جرير والفرزدق، والمتنبى وغيرهم من الشعراء الذين ازدهرت بهم حركة الشعر العربى، ومازالت المواكب هتافة بما جادت به قرائحهم من فن القصيد.

---

(١) العمدة لابن رشيق ١ - ٩٠، ٩١.

(٢) المصدر السابق ص ١ / ٩٠.